فن القـــــراءة

للأســـتاذ إيليا حليم حنا

القراءة فن له أصوله وقواعده كأى فن آخر ، وهى أداة تثقيف واستزادة فى كل الفنون النوعة الأخرى . وقد أصبح لها الآن عيادات ملحقة بالجامعات فى أمريكا اسمها (عيادات المطالعة) غرضها إصلاح عيوب القراءة والإرشاد إلى أصولها وقواعدها . هذا بالإضافة إلى آلاف الكتب والمقالات التى عالجت هذا الفن وما زالت تمدنا بخبره رجال التربية وعلم النفس وتجاربهم فى ضبط أصول هذا الموضوع الحيوى الذى لم يكتب عنه فى العربية إلا القليل من المقالات التى لا تتعدى أصابع اليدين .

إننا ما زلنا لا نولى درس المطالعة العناية الكافية فى مدارسنا . والذين يقومون بتدريس هذه المادة المهمة يرون أنها فرع تافه من فروع اللغة العربية ، ولذا تراهم كثيراً ما يشغلون وقتها بقواعد اللغة أو التطبيق ، وذلك لأننا لا نعد مدرس اللغة الإعداد الكافى لتدريس هذه المادة المهمة ، وإننا نجهل حتى الآن أن القراءة فن يجب أن يدرس على الأقل للذين نعدهم للتدريس فيعرف المعلم كيف يعلم الطفل القراءة فى مراحل نموه العقلى ومتى يقوم بتعليم القراءة الجهرية والقراءة السرية والقراءة البطيئة والقراءة السريعة ، ويعرف أن الغرض من المطالعة تعويد الأطفال على حب القراءة وتربيـة ملكة الانتباه وسرعة الإدراك وإنماء قوة التفكير والقوة المتخيلة .

ويتكلم (الدكتور فيل رايت) رئيس قسم علم النفس بكلية (جورد دانهل) عن أهمية درس المطالعة فى حياة الطالب فيقول (تعليم الطفل القراءة مهمة ذات مسئولية خطيرة تتطلب درجة عالية من المهارة فى فن التدريس والثقافة)

إننا لا نشترط فى مدرس المطالعة إلا أن يكون ملماً بفنون اللغة فيرهق التلاميذ الصغار بضبط أواخر الكلمات والكبار بالإعراب فيرى كل منهما درس المطالعة عبئاً ثقيلاً لا فائدة فيه ، وهى الطريقة العتيقة المسئولة عن تنفيرنا من القراءة وكراهيتنا لها أثناء مرحلتنا الدراسية وبعدها .

القراءة الناطقة :

القراءة قد تكون ناطقة ولكنها غير مسموعة وإليك ما قالته الدكتورة (ستلا سنتر) رئيسة عيادة المطالعة بجامعة نيويورك : « إذا أردت أن تعرف هل تقرأ بصوت أو لا فالمس شفتيك بخفة وأنت تقرأ ، فإذا كانتا لا تتحركان فالمس عنقك عند أوتار الصوت ، فإن وجدتها تختلج قليلا فأنت تقرأ بصوت » .

ويلذ للطفل حتى سن الثامنة أو التاسعة أن يقرأ قراءة منطوقة جهرية لأنه يدرك أثناءها نبرات صوته ويتذوقها ولذا يجب أن نستغل حبه هذا للقراءة .

وفى هذه القراءة المنطوقة يستعمل الطفل عضلات النطق ويحرك شفتيه ويتوقف لفهم المنطوق وبواسطتها يكون معجمه اللغوى . وهذه القراءة لازمة لتعليم الطفل فى مراحل نموه الأولى لإتقان النطق وإخراج الألفاظ من مخارجها وضبطها بالشكل وجودة الإلقاء ، كما أنها تساعده فى تلك المرحلة على محاولة فهم ما يقرأ لأن استعمال حاستين فى القراءة أقوى من استعمال حاسة واحدة ؛ ففى القراءة الناطقة تصل رسالتان إلى الدماغ فى وقت واحد فتصبح العبارة أقرب للفهم وأثبت فى الذهن ، أى أنها تترك أثراً أعمق فى طيات المخ . وهى تخلق الجرأة فى الطفل وتعوده على الخطابة والتكلم فى الجماعات . ولكن القراءة الصامتة تفضلها

ويقاسى لظى الهاجرة فى المدينة . فبينما هناك ليدخر لفنانها ثمرات جهده وكدّ عقله وراتب شهره .

« ليت شعرى ، ماذا عسى أن تقول الخائنة لزوجها إن هى جلست إليه فى خلوة تحدثه حديث البحر ؟ وماذا عسى أن الزوج الوضيع لزوجته المسكينة ؟

غداً تعود الزوجة إلى دارها وفى قلبها ذكرى ، ويعود الزوج إلى أهله وفى فؤاده هوى » .

ثم تلاشت عيناك — أيها البحر — بين صيحات الجمع الزاخر وهو ينادى : أن انقذوا الغريق . فنظرت فرأيت كهلاً من كهول الشاطىء تصفعه الأمواج فى غير رحمة ويجرفه البحر فى غير شفقة ، وقد خارت قوته ونفد جهده ، وأبناؤه على الشاطىء يصرخون فى لوعة وأسى : أبى ! أبى ! وزوجته تصك وجهها فى جزع وحزن . وتدافع الشباب يشقون أمواج البحر فى قوة وعزيمة ، ثم حملوا الرجل إلى الشاطىء بعد جهد فإذا هو جثة هامدة

يا للهى ! لقد جاء الناس يطلبون للصحة والعافية والجمام فإذا هم بين غريق فى الشهوات وغريق فى اليم —

فاضل محمود ...

في هجاء الكلمات لأنه فيها يكون غير مقيد بمستلزمات للطالعة الجهرية من جودة النطق وتنويع الصوت حسب المناسبات . والتلميذ في المطالعة الجهرية قد يخشى النقد فيقرأ دون أن يعي ما يقرأه .

والقراءة الناطقة المسموعة فن لازم لبعض الناس ؛ فهي وسيلة لإسماع الغير ما نقول بصوت عال واضح وتبرات تتمثل فيها إحساساتنا وشعورنا . ويحتاج إليها الزعماء والخطباء والمحامون والمعلمون وأعضاء المجالس النيابية . ولكن هؤلاء لا يحتاجون إليها مطلقاً في قراءاتهم الخاصة . إننا إذا أردنا الاطلاع على التقدم العلمي والثقافات المختلفة لنجاري في التفكير العصر الذي نعيش فيه وننتفع بما نقرأ في حياتنا العملية فإننا نستعمل القراءة الصامتة ، لأن القراءة الناطقة قراءة بطيئة لا تستعمل بعد التاسعة إلا فيما نرغب أن نسمعه لغيرنا . والسبب في هذا البطء أنها تتقيد بالسرعة التي تنتج بها عضلاتنا الصوتية الصوت . ومعدل القراءة بها ١٢٠ كلمة في الدقيقة للشخص العادي الكبير .

ولا يخفى أن القراءة الجهرية تجهد العضلات الصوتية وتضر بهذا كل من يستمر نصف ساعة يقرأ بصوت مرتفع ، ويعجز الشخص عن القراءة بصوت عال مدة تزيد على الساعة مع أنه يستطيع مواصلة القراءة الصامتة ساعات متوالية .

القراءة الصامتة :

القراءة الصامتة قراءة بصرية دون نطق ، تتصل فيها وظيفة الأوتار الصوتية والشفاه ، ومدارها البصر والتركيز الذهني . وهي قراءة سريعة لأننا لا نتقيدها إلا بالسرعة التي يعي بها العقل معنى ما نقرأه . وقد دلت تجارب الدكتور استارك Starch على أن سرعة القراءة الصامتة للطفل الذي في الثامنة من عمره كلمة أو كلمتان في الثانية ، أو ١٢٦ كلمة في الدقيقة ، أي أنه يكون أسرع من الشخص الكبير الذي يقرأ قراءة منطوقة . والطفل الذي في الثالثة عشرة من عمره يقرأ قراءة صامتة بمعدل أربع كلمات في الثانية أي ٢٤٠ كلمة في الدقيقة .

والقراءة الصامتة أكبر معين على فهم العبارات التي نقرأ والإلمام السريع بما تنطوي عليه من الآراء ، لأنه فيها ينطوي الإنسان على نفسه ويتجرد عن حاله الخارجي ، ويكون فمه مصدر النشاط لا يشغله سماع اللفظ ورنين الصوت ومحاولة ضبط الكلمات بالشكل ، بل يشعر بحماسة ولذة لأن ما يقرأه يملأ عقله وشعوره وحسه .

والقارىء الصامت يقتنص المعاني من أطراف الألفاظ ويلتقطها من خلال السطور ويقفز ببصره قفزاً فوق حروف الجر والعطف ... والأفكار السهلة المعروفة لديه من قبل . وهو لا يرى الكلمات مركبة من حروف بل يراها صوراً يعرفها من مظهرها العام . وهو أثناء القراءة لا يحمل الكلمات إلى عقله بل يمر عليها بنظره فيقفز معناها إلى عقله . وتتوقف سرعة استيعاب معاني الألفاظ على مبلغ تمكن الشخص من لغته ومن الموضوع الذي يقرأه . وهو عندما يقرأ الجمل تتحول بسرعة إلى صور في عقله . فمثلاً عندما يقرأ هذه الجملة (أسرع الأسد خلف الرجل فأدركه وألقى به على الأرض وأخذ يمزقه بأنيابه ومخالبه) يراها بعين عقله صوراً لا ألفاظاً ؛ يرى ثلاث صور متلاحقة تمر مروراً خاطفاً في مخيلته ؛ يرى صورة الأسد يعدو مسرعاً وراء الرجل ، ثم الأسد يلقي بالرجل على الأرض ، ثم الأسد وقد جثم فوق الرجل يمزقه بأنيابه ومخالبه .

وعندما يجول القارىء الصامت بين بدائع الفن وآيات الأدب وحقائق العلم تنتقل نفسه لحظات إلى ما وراء عالم الحس وينكب على الفكرة إنكباب العالم في معمله على أدواته يرصد الحقائق العارضة وتستيقظ فيه خصائص المخيلة ووظائف التفكير وتراه في نوبة توقد يحس بمعاني الكاتب حساً ويشعر بالحياة والحرارة في أفكاره .

ويعود الطفل القراءة الصامتة إليه إن وضعنا بين يديه الكتب التي تمده بغذاء عقلي لا يثقل عليه هضمه ويتمشى مع مستعده العقلي في مرحلة النمو التي يمر بها ويثير ميوله ورغباته ويشبع غريزة حب الاستطلاع فيه كما يجب أن تعطيه الكتب المستيرة التي لا تستغرق وقتاً طويلاً في القراءة حتى لا يسأمه طول الوقت وطول الموضوع فيلجأ إلى القراءة الجهرية ليتخلص من سأمه بسماع صوته الذي يساعده على التركيز الذهني الذي أوشك أن يفقده بطول مدة القراءة .

القراءة البطيئة :

(أ) تطور السرعة في القراءة :

يتدرج الطفل في القراءة من بطيء إلى سريع ومن سريع إلى أسرع تبعاً لربط الكلمات بمدلولاتها ؛ وحينئذ يتمكن من أن

يقرأ الكلمة بدون أن يقطعها إلى حروف ويفهم معناها بدون تفكير . وتزداد سرعته في القراءة بوفرة محصوله اللغوي والذهني.

ونحن الكبار تزداد سرعتنا أيضاً بتضوجنا الذهني وسعة اطلاعنا ووفرة معلوماتنا وتمكننا من اللغة ومفرداتها ومدى اطلاعنا في الموضوع الذي نقرأه ؛ فما نرى المبتدئين في بعض العلوم لا يسرعون في قراءتها لأن عدم الإلمام بها يلزمهم التوقف .

(ب) متى يلزم البطء في القراءة :

لا تدل القراءة البطيئة على شيء إلا على قلة المحصول اللغوي للفرد وعدم تضوجه الذهني . والقارىء البطيء غالباً ما يكون آلياً يحرك شفتيه عند القراءة أو صامتاً يقرأ بصوت مسموع لتنتقل الألفاظ من أوتار صوته إلى أذنيه .

والقراءة البطيئة من أكبر عيوب فن القراءة ولكنها تكون ضرورة لازمة في الحالات الآتية :

١ — عند القراءة التي يقصد بها التحليل والنقد .

٢ — في الكتب العلمية الدقيقة ككتب الطبيعة والفلك وعلم النفس .

٣ — في الكتب التي تقرأ لإشباع لغة وجدانية كالشعر والنثر الفني والأدب الراقي وكل ما يقرأ للتذوق .

والقارىء في هذه الحالات قد يقرأ بصوت مسموع بعض الفقرات أو الأبيات للاستمتاع بها ، وقد يعيد قراءتها عدت مرات للتمعن فيها أو استيعابها ولكنه يقرأ كل ما يراه مفهوماً قراءة سريعة خاطفة ليوفر الوقت لكل ما هو معقد يحتاج إلى الروية في التفكير والاستيعاب .

(ج) القارىء الضعيف (البطيء) :

١ — يقرأ كتاباً سهلا بسرعة تتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ كلة في الدقيقة .

٢ — يقرأ كلة ويقف عند كل لفظ تقريباً لأنه ضيق المعرفة كما أن محصوله اللغوي ضئيل .

٣ — يقرأ الكلمة أو الجملة مرات حتى يفهمها جيداً باستجماع كل مدلولاتها في ذهنه .

٤ — يقرأ بعينيه وشفتيه ولسانه وحنجرته وأوتاره الصوتية

٥ — لا يركز تفكيره تركيزاً كاملا بل ينشغل كثيراً بالعالم الخارجي من ضوضاء ومناظر وحوادث لأنه يتلكأ ويتباطأ في الوقوف عند كل كلة .

٦ — غالباً ما يترك ما يقرأه دون أن يتم قراءته وأقصى ما يستطيع أن يقرأه في المرة الواحدة لا يزيد على اثنتي عشرة صفحة

(د) القارىء العادي :

أما القارىء الوسط البالغ الذي يقرأ ٢٢٥ كلة في الدقيقة في الكتب فهو قارىء عادي في حاجة أن يدرب نفسه ليزيد سرعته

ومعدل سرعة القارىء العادي في المدارس الثانوية ٣٠٠ كلة في الدقيقة وفي المدارس العليا ٣٥٠ كلة في الدقيقة . .

القراءة السريعة :

(ا) متى يمكننا القراءة بسرعة :

كلما زاد عدد المفردات التي يفهم الفرد معناها الحقيقي المقصود منها ازدادت قدرته على التفكير والفهم بسرعة .

٢ — عندما يزيد النضوج الذهني الشخصي بوفرة المعلومات وسعة الاطلاع يكون أقدر على التفكير الهادىء السريع .

(ب) القارىء السريع :

١ — يقرأ بسرعة لأنه يفكر بسرعة نتيجة لمحصوله اللغوي الراقي ومعلوماته الواسعة وقوة بصره .

٢ — يقرأ ٦٠٠ كلة أو أكثر في الدقيقة في الجملات أو القصص ومن ٤٠٠ إلى ٥٠٠ كلة في الأبحاث العميقة الدقيقة .

٣ — يلتقط المعنى الكامل للجملة من نظرة واحدة ولا يقرأ كلمات منفردة ، ويتخطى الكلمات التي لا أهمية لها مثل حروف الجر وأدوات التعريف وحروف العطف والضمائر ... إلخ .

٤ — يستطيع قراءة الكتاب في جلسة واحدة .

٥ — يتجه كل وعيه إلى ما يقرأ ولا يشغله من ذلك مؤثر خارجي ، بل يركز فهمه ويحصر ذهنه ويشعر بلذة وحماسة تجعلانه يلتهم ما يقرأه التهاماً .

٦ — يفهم ما يقرأ ويتمشى تفكيره مع المؤلف ويوافقه أو يخالفه بسرعة .

٧ — يستوعب السطر العادي المطبوع في حركتين أو ثلاث حركات للعين .

٨ — يمكنه أن يقرأ كتاباً أسبوعياً ما عدا ما يقرأ من الكتب التي تتعلق بمهنته والمجلات الأسبوعية والشهرية والدورية والصحف اليومية والنشرات .

(د) القراءة السريعة ضرورة لازمة :

إنها ضرورة ماسة لجميع رجال الفكر والأعمال لمجاراة العصر في تفكيره وخاصة وإن الإنتاج العقلي لا يحده حصر وأعمالنا وواجباتنا لا تتيح لنا وقتاً كافياً للقراءة . وهي أشد ما تكون لزوماً في الأحوال الآتية :

١ — عندما يكون أمامك مراجع كثيرة للبحث عن نقطة معينة .

٢ — عند قراءة الصحف اليومية والمجلات لأنك في مثل هذه القراءات تريد الفكرة العامة بالإضافة إلى كون الأسلوب الصحافي في غاية السهولة يفهم بدون بطء .

٣ — عند قراءة الأجزاء المرونة لديك في كتاب جديد أو مقال .

٣ — عندما تريد اكتساب نظرة طائرة عن الموضوع .

٥ — عندما تكون واسعاً في الفن الذي تقرأه أو ملماً به ولست مبتدئاً فيه .

(ه) اختبر سرعتك :

اختر صفحة من كتاب لم تكن قد قرأتها من قبل بحيث لا تكون معقدة فنياً ولا تحوي أفكاراً بعيدة عن مجرى تفكيرك اليومي وعمدك التناقي ثم اقرأها بسرعة كما تقرأ في مجلة للتسلية وليس للتمحص والتدقيق ، ثم وقت ما تفصل بدقة ثم اقسم عدد كلمات الصفحة على عدد الدقائق التي استغرقتها في قراءتها فتعرف سرعتك في الوقت الحاضر . لو وجدت أنك تقرأ ٣٠٠ كلمة في الدقيقة فأنت في حاجة إلى أن تزيد سرعتك . تمرن لمدة شهر واختبر مقدار سرعتك يومياً في مذكرتك فتجد أنك في نهاية الشهر تقرأ من ٤٠٠ إلى ٦٠٠ كلمة في الدقيقة فإنه من الممكن أن تمرن نفسك على السرعة حتى تقرأ ثلاثة أو أربعة أضعاف ما يقرأ الآن .

(و) كيف تحسن القراءة :

دلت التجارب على أن سرعة الفرد في القراءة تزداد بمقدار ٣٥٪ بالتمرين اليومي . فاحمل نفسك على أن تقرأ ربع ساعة يومياً بأسرع ما يمكنك حاضراً كل ذهنك وانتباهك فيما تقرأ ، ثم سجل عدد الكلمات التي أمكنك قراءتها كل يوم . قد تجد أول الأمر أن السرعة تحول بينك وبين الفهم ، ولكن لا تلبث بعد التدريب اليومي أن تجد أنك تستوعب من المعاني أكثر فأكثر .

زد عدد الكلمات التي تقرأها كل يوم عن سابقه بالتدريج بحيث تفهم ما تقرأ . لا تقرأ كلمة كلمة واعتد قراءة الجمل . وإذا كنت ترجع نظرك بين الفينة والفينة إلى كلمة أو كلمتين تريد استيعاب المعنى فاقض على عادة الرجوع هذه واستمر حتى تنتهي من الجملة على الأقل . ويمكنك تجنب إعادة القراءة بأن تجعل بالك إلى فكرة الكاتب .

تعلم أن تثب وثباً حكيماً لتقبض على الفكرة الرئيسية ، ولكن لا تتجاوز الكلام بل اعبره بأن تمر عليه بلحظك مراً سريعاً والتقط الألفاظ الرئيسية .

بعد قراءتك التدريبية يومياً لخص الأفكار الرئيسية التي خرجت بها من قراءتك السريعة ثم عد وتمعن في قراءة نفس القطعة ، ولخص في أثناء قراءتك هذه ، المعاني الرئيسية والفكرات الأساسية واعمل نسبة مئوية لمقدار استيعابك ما قرأت بسرعة .

وفق بين سرعتك والمادة التي تقرأها ، فمثلاً في قراءة الصحف والمجلات يمكنك أن تمر مراً خاطفاً على الأخبار مستوعباً معنى فقرة بأكملها في نظرة واحدة وبعد ذلك تتمكن من أن تمر مراً خاطفاً بارعاً على الصفحة كلها مختاراً الفقرات والأفكار الهامة ، وفي الإمكان أن تصل إلى سرعة من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ كلمة في الدقيقة في القراءة الخاطفة في الموضوعات البسيطة التي لا تحتاج إلى دراسة عميقة وإمعان كالقراءة في الصحف اليومية .

ويدهشك أن توماس كارليل وثيودور روزفلت كان لهما قدرة عجيبة على قراءة صفحة بأكملها بنظرة واحدة . ويدهشك أكثر عندما تعرف أن السر في إنتاج البروفسور لاسكي الإنجليزي في عالم التأليف يرجع إلى قوته الغريبة وسرعته في القراءة التي لا تفوقها سرعة إذ يستطيع أن يتصفح مجلداً ضخماً ويستوعب كل ما يستحق الاستيعاب بسرعة ٢٦٠ صفحة في الساعة .

(أسيوط)

إيليا خليم عنا
مدرس أول اللغة الإنجليزية والآداب
بمدرسة النهضة الوسطى الأميرية - سوهاج